قمّة عربيّة – سوريّة قد تنهي قرناً من الصراعات

زياد ناصر الدين
كاتب ومحلل سياسي

بعد سنوات من الخلافات والخصومات السياسية العربية والإقليمية التي عكست واقعاً اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً صعباً في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بادرت المملكة العربية السعودية أخيراً إلى تبني سياسة "صفر مشكلات"، ليس على صعيد علاقاتها فحسب، بل تخطت ذلك نحو تبني وقيادة مصالحة عربية شاملة قبيل انعقاد قمّة جدّة في ١٩ أيار/مايو.

عملياً، إنّ "رؤية ٢٠٣٠" الطموحة لتطوير السعودية التي يعوّل عليها ولي العهد محمد بن سلمان باتت المتحكّم الأساسي في إستراتيجيات المملكة الداخلية والخارجية، فكان لا بد من تصفير المشكلات السياسية والعسكرية مع الجوار، وخصوصاً إيران وتركيا وسوريا، بهدف التأسيس لأكبر اقتصاد عربي وثالث اقتصاد على صعيد العالم. بناءً عليه، كان سعي الرياض لعودة دمشق إلى جامعة الدول العربية قبل قمّة جدة وإصرارها على مشاركة الرئيس بشار الأسد شخصياً، ليعقد العرب للمرة الأولى لقاءً ذا بعد إستراتيجي - اقتصادي مؤثر في السياسة، فأضحت القمّة قمّتين: الأولى عربيّة، والأخرى بين سوريا وما تمثّله والسعودية.

ويبقى الأهم أنّ هذا الحدث سيتم بعيداً عن سيطرة الغرب وتحكّمه وعرقلته الدائمة لملفي إعادة إعمار سوريا وعودة النازحين، إضافة إلى أطماعه التاريخية - الآنية بموقعها الجغرافي وطموحاته في السيطرة عليها.

ومن أجل ذلك، تآمر عليها وبذل أقصى ما فيه لتدمير اقتصادها القوي تمهيداً لوضع اليد على ما كان من المفترض أن يتبقى منها بعد الحرب. وقبيل الدمار الشامل الذي لحق بسوريا بدءاً من العام ٢٠١١، كان لهذه الدولة العربية مميزات اقتصادية - اجتماعية عدّة جعلتها رائدة في الشرق الأوسط والعالم، من هذه المميزات:

١- اكتفاء ذاتي، كما كان مخططاً، في برنامج الحكومة منذ العام ٢٠٠٢، بحسب وزارة المال وصندوق النقد الدولي.

٢- الثانية عالمياً في إنتاج القطن، والثالثة عالمياً في إنتاج الزيتون، والأولى عربياً في إنتاج القمح، وفقاً لتقارير منظمة الأغذية والزراعة (فاو) بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٠.

٣- الأولى عربياً والرابعة عالمياً بمستوى الأمان.

٤- الأولى عربياً في الأمن الغذائي والبحث العلمي، بحسب تصنيفات الأمم المتحدة.

٥- مستوى البطالة لا يتعدى ٨٪، وفقاً للبنك الدولي.

٦- نسبة تشغيل اليد العاملة في حلب ٩٤٪.

٧- سياحة مزدهرة بمعدّل ٥,٦ ملايين زائر سنوياً.

٨- صناعة أدوية تغطي ٩٠٪ من الحاجة المحليّة، وتصدّر إلى ٣٤ دولة، وفقاً لتقرير منظمة الصحة العالمية عام ٢٠١٠.

٩- ناتج محلي بلغ ٦٤ مليار دولار عام ٢٠١٠، شكّلت منه الإيرادات النفطية ٧٪ فقط، بحسب البنك الدولي.

١٠- فائض في الإنتاج الكهربائي بمعدّل ٥٠٠٠ ميغاواط.

١١- عدد المدارس وصل إلى ٢١ ألفاً، وفقاً لأرقام الأمم المتحدة.

١٢- نسبة الأميّة تقلّصت عام ٢٠١٠ إلى ٥٪، بحسب تقارير الأمم المتحدة وبرامجها.

١٣- مركز صحي لكل ١٠ آلاف مواطن، ومستشفى لكل ٦ آلاف.

وبالعودة إلى اليوم، تُعقد القمة العربية بأبعادها الاقتصادية - السياسية على وقع:

١- مصالحة إيرانية - سعوديّة برعاية الصين.

٢- اتفاق على تبادل تجاري بين الرياض وطهران بأكثر من ١٠٠ مليار دولار كمرحلة أولى.

٣- إصرار سعودي - عربي على حضور سوريا الاجتماع.

٤- رفض الرياض مخططات التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي.

٥- التحضير لانضمام سوريا والسعودية وتركيا وإيران إلى منظمتي "بريكس" وشنغهاي.

٦- تقدّم اقتصادي وسياسي لبكين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ خرجت الصين من أسوارها لتصبح قوة ديناميكية عالمية.

٧- دور فاعل لتحالف "أوبك بلاس" في النفط والغاز.

٨- صراع تركي مباشر مع الولايات المتحدة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي.

في المحصّلة، إنّ إعادة إعمار سوريا هي باب لأي قوّة اقتصادية ناشئة في العالم. وإذا أراد الشرق والقوى الاقتصادية الصاعدة من آسيا إلى الخليج الفارسي خوض هذه التجربة، فسنكون بلا شك أمام نموذج أفضل في الخيارات والتوجهات والتنوع الاقتصادي من مشروع مارشال. هذا ويعدّ إعمار سوريا، أيضاً، من المؤشرات على نجاح "رؤية ٢٠٣٠" وقوتها، وعامل نمو واستقرار للبنان والأردن والعراق والخليج الفارسي، وصولاً إلى عمق آسيا، وقوّة متمايزة لمنظمتي شنغهاي و"بريكس" وتحالف "أوبك بلاس"، وسيساعد بلا شك بانتظام مشروع "الحزام والطريق" الصيني.

كذلك، إذا اكتمل مشهد المصالحة العربية بشكل واضح، وانضمت إليه مصر، فإنّ ذلك سيضع بلا شك حدّاً لقرن كامل من الصراعات في المنطقة منذ أيام "سايكس – بيكو"، كما أنّ للمصالحة الإسلامية (السعودية وإيران وتركيا) ببعدها المذهبي تداعيات كبيرة جداً على الشرق الأوسط، الذي سيشهد من دون شك نهاية للخلافات بأبعادها الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية، في تحوّل يحصل مرّة واحدة كل ٢٠٠ عام.

> سعت الرياض لعودة دمشق إلى جامعة الدول العربية قبل قمّة جدة، وأصرت على مشاركة الرئيس بشار الأسد شخصيّاً، ليعقد العرب للمرة الأولى لقاءً ذا بعد إستراتيجي – اقتصادي مؤثر في السياسة

ميزان العجز في الأمن الداخلي الإسرائيلي

أيمن الرفاتي
كاتب ومحلل سياسي

يواصل الميزان الأمني في دولة الكيان تراجعه الكبير اللافت، في ظل معطيات داخلية باستمرار حالة عدم الاستقرار وتراجع الاندماج نحو الفكرة الصهيونية التي قام على أساسها الكيان باعتباره "أرض الميعاد وواحة الأمن والاقتصاد لليهود"، إضافة إلى عدم قدرة المنظومة الأمنية على تحقيق مبادئها، سواء داخلياً أو خارجياً، لتحقيق مراد النظرية الأمنية للكيان.

ضمن نظرية الأمن الداخلي تقوم المنظومة الأمنية في الكيان بالمحافظة على الوضع الأمني، والتعامل مع جميع اليهود على أساس المساواة، وتوفير الحماية والسلم المجتمعي ضمن الدولة اليهودية. لكن في السنوات الأخيرة زادت حدة الاستقطاب الداخلي، وظهرت الشروخ الداخلية على السطح بشكل كبير، ولم تستطع دولة الاحتلال دمج جميع المكوّنات في بوتقة واحدة متماسكة، حتى طال الخلاف والاستقطاب الجيش الذي يعدّ ركيزة الدولة. وقد تجسّدت المبادئ الانعزالية لدى العرقيات وتكتلت كل عرقية في منطقة معينة، فيما واصل المتدينون الحريديم انعزالهم عن العلمانيين، وظهرت الفرقة بين اليهود ذاتهم. فالإثيوبي الأسمر ليس كالغربي الأبيض، والشرقي يكره الغربي، والغربي يرى أنه من بنى وضحى لبقاء الدولة، فيما الشرقي يرى أنه مضطهد وأن الغربي الأشكنازي يحوز على جميع الامتيازات.

في السابق كانت الخلافات الداخلية وتأثيراتها ضمن سيطرة المنظومة الأمنية، لكن في السنوات الأخيرة رصدت المئات من المشادات والاشتباكات والاعتداءات بين مختلف الطوائف والعرقيات وداخل "الجيش" أيضاً، وانتقلت المشاحنات إلى مواقع التواصل الاجتماعي. ومؤخراً، زادت حدة الخلافات في ظل محاولة اليمينيين المتطرفين تطبيق الشريعة اليهودية داخل "الدولة"، وهو ما انعكس على توجّهات الناخبين في الانتخابات الأخيرة، وما تلاه من تحوّل الخلاف من الإطار الضيق إلى الإطار السياسي والاستقطاب الواسع، فباتت التظاهرات متبادلة بين معارضي الحكومة ومؤيديها ويشارك فيها مئات الآلاف أسبوعياً.

النظرية الأمنية تقوم على توفير حالة من الاستقرار الداخلي لكنها اليوم لم تعد كما في السابق، وباتت الشرطة في حيرة من أمرها، حيث تتلقى الأوامر من الوزير المسؤول عنها المتطرف "ايتمار بن غفير" بأن تستخدم القوة ضد المتظاهرين، بينما ترى أن عقيدتها الأمنية تفرض عليها التعامل بحيادية، وفي الجانب الآخر تجد الشرطة أنه في ظل التطورات الكبيرة التي شهدها المجتمع الداخلي في الكيان باتت لا تستطيع السيطرة على مستويات الجريمة والمافيا. ومنذ قيام الكيان تروّج الصهيونية العالمية بأن "إسرائيل" هي واحة الأمن والاقتصاد لليهود، وأن من يعيش فيها سيجد استقراراً أمنياً واقتصادياً وحالاً أفضل من الحال الذي يعيشه في أي دولة أخرى، لكن في ظل الخلافات الداخلية التي باتت تحمل إشارات لحرب داخلية تراجعت السردية التي تروّجها الحركة الصهيونية أمام يهود العالم، وباتت المبادئ التي قام عليها الكيان-وخاصة فيما يتعلق بالجانب الأمني-تنسف بفعل اليهود أنفسهم من ناحية ومن المقاومة الفلسطينية ومحور المقاومة من ناحية أخرى.

الوضع الداخلي في الكيان مؤخراً يعد الأخطر منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨، لما له من انعكاسات داخلية أخرى تتعلق بالصراع مع الفلسطينيين، وأيضاً على المستوى الخارجي فيما يتعلّق بنظرة أعداء الكيان له، وثقة الغرب والولايات المتحدة بأهميته في المنطقة، وهو ما أكدته دراسة أعدها معهد دراسات الأمن القومي في آذار/مارس الماضي، بأن "الانقسام الداخلي يؤثر بشدة على قدرة إسرائيل على مواجهة التهديدات الخطيرة للغاية التي تواجهها".

وفي الشق الثاني من النظرية الأمنية الداخلية للكيان فشلت "دولة" الاحتلال في فرض سياستها الرامية للسيطرة على الفلسطينيين، وتثبيت استقرار الحكم الإسرائيلي عليهم، حيث تقوم الاستراتيجية الإسرائيلية على ركيزتين اثنتين: الأولى استخدام إجراءات تهدئة لاحتواء الفلسطينيين من خلال توفير تسهيلات اقتصادية، والاعتماد على السلطة الفلسطينية لضبط الفلسطينيين بالنيابة عنها، فيما الركيزة الثانية تقوم على عملية الردع واستخدام القوة وجعل ثمن المس بالأمن الإسرائيلي كبيراً على المستويين الشخصي والجمعي للفلسطينيين.

إن استمرار الجرائم التي يقوم بها الاحتلال ومحاولاته فرض وقائع جديدة على الأرض في الضفة والقدس ولدى فلسطيني الداخل المحتل عام ١٩٤٨، وشنه ٥ معارك عسكرية دامية ضد قطاع غزة لم تعد رادعاً، بل إن الفلسطينيين باتوا أكثر قناعة بقدرتهم على ردع الاحتلال، والتأثير على أمنه الداخلي، وضرب نظريته الأمنية بأقل الأدوات. فبعد ٧٥ عاماً على تأسيس الكيان يلاحظ المراقبون للوضع الأمني الداخلي سواء في البيئة الداخلية أو في العلاقة مع الفلسطينيين حجم فشل نظرية الأمن الداخلي الإسرائيلية، وعدم قدرة الاحتلال على تجاوز الوضع الداخلي الصعب لديه، إضافة إلى تواصل الفشل في التعامل مع الفلسطينيين، الذين باتوا اليوم أكثر قدرة في التأثير على الأمن الداخلي للكيان.

> في السابق كانت الخلافات الداخلية الإسرائيلية ضمن سيطرة المنظومة الأمنية، لكن في السنوات الأخيرة رصدت المئات من المشادات والاشتباكات والاعتداءات بين مختلف الطوائف والعرقيات وداخل «الجيش» أيضا

التحليل الإخباري

هذه الحرب لن تنتهي إلّا إذا...

رشاد ابوشاور
كاتب ومحلل سياسي

هذه الحرب لن تتوقّف إلّا إذا... وأقصد الحرب الممتدة حتى اليوم، والتي بدأت كحرب معلنة الأهداف والأطراف عام ١٩٤٨، وكشفت عن أهدافها التي لم تعد خافية بالنسبة لعرب فلسطين، ولكثير من العرب الذين استبشروا بأنها ستتوّج بهزيمة العصابات الصهيونية، ثقة بالجيوش العربيّة المتواضعة، والتي لم يكن قرارها بيدها.

كانت العصابات الصهيونية تحارب بأسلحة متفوّقة غربيّة، وبقرارات دولية منحازة، وبمخططات بعضها معلن، وبعضها خافٍ عن الجماهير العربية، وإن كان عرب فلسطين قد اكتشفوا مبكراً طبيعة العلاقة بين بريطانيا المنتدبة على فلسطين، وبداية التسلل اليهودي لفلسطين بغطاء بريطاني، وبرعاية بريطانية، وبمباركة أميركية.

المعركة التي انفجرت في إثر اغتيال قادة الجهاد الإسلامي الثلاثة وهم في بيوتهم، بين أفراد أسرهم (غدراً)، ورأيي أننا يجب ألّا نُغدر، وألّا ننام مطمئنين، فنحن المقاومين ننتمي لشعب طالما غُدر بالثقة بمن باتت أخوّتهم غير مطمئنة، فهي انتقلت من أخوّة دم ومصير واحد، إلى ادعاء بتعاطف من أخ لم يعد معنياً بمن يفترض أنه أخوه، ولا بأرضه التي هي قلب الوطن العربي، ولا بصراعه الاستراتيجي الذي يفترض أنه صراع أمة مع عدو غازٍ مدعوم بأعداء يقدّمون له السلاح والمال والدعم الدبلوماسي والإعلامي.

العدو الصهيوني في حالة حرب مستمرّة منذ ١٩٤٨ وقبلها، وهو لم يستقرّ، ولن يستقرّ على أرض فلسطين، والفلسطينيون الذين اقتلعوا من أرضهم، واستحوذت العصابات على ممتلكاتهم ونهبت ثرواتهم، لم يتركوها لتهنأ وتتوطد في أرضهم، وظلّت كياناً في مهّب الريح، رغم التطبيع مع السادات، ومن جاءوا بعده من الحكّام المطبّعين الساعين للرضى الأميركي والحماية الصهيونية...

هذه معركة في سياق الحرب الكبرى، حرب تحرير فلسطين، وهذه المعركة التي تنحاز لها الجماهير الفلسطينية التي اكتوت بأكاذيب أوسلو، وجرائم العدو بعد أوسلو: قتلاً، ونهباً للأرض والماء، وتدميراً للبيوت، وزجّاً في السجون. وهي مواصلة لحربه منذ ١٩٤٨ التي لن تتوقّف رغم وساطات أطراف رسمية عربية دورها تخدير الفلسطينيين والجماهير العربية التي لا تنطلي عليها عبارات الحرص على الفلسطينيين، لأنها تُغيّب جوهر الصراع مع العدو الصهيوني، وهو الصراع الذي لن يُحلّ إلّا بتحرير فلسطين، وكنس الكيان الصهيوني من قلب الوطن العربي، وعودة عرب فلسطين إلى مدنهم وقراهم وحقولهم. هذه المعركة توقّفت بعد تلقين نتنياهو وزمرة الحاخامات أسرى الخرافات درساً فلسطينياً، ولكن الحرب التي تأسست بها دولة الكيان عام ١٩٤٨، لن تتوقّف، فهي حرب وجود وسيادة للأمة، وهي حرب خاتمتها المؤزّرة: تحرير فلسطين.